Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى يوم من أيام المولد – والرهط يزورنى لنؤم الساحة مجتمعين فى المساء – كان الكاتب الانجليزى العظيم « توماس كارليل » هو محور الحديث كله ، لأنه كما يعلم الكثيرون بين قراء العربية صاحب كتاب « الأبطال » الذى عقد فيه فصلا عن النبى محمد عليه السلام ، وجعله نموذج البطولة النبوية بين أبطال العالم الذين اختارهم للوصف والتدليل .

* * *

وإنا لنتذاكر آراءه ومواضع ثنائه على النبى ، إذ بدرت من احد الحاضرين الغرباء عن الرهط كلمة نابية غضبنا لها واستنكرناها لما فيها من سوء الأدب وسوء الذوق وسوء الطوية . وكان الفتى الذى بدرت منه الكلمة متحذلقا يتظاهر بالمعرفة ، ويحسب أن التطاول على الأنبياء من لوازم الاطلاع على الفلسفة والعلوم الحديثة . . فكان مما قاله شىء عن النبى والزواج ، وشىء عن البطولة ، فحواه أن بطولة محمد إنما هى بطولة سيف ودماء !

قلت : « ويحك ! . . ما سوغ أحد السيف كما سوغته انت بهذه القولة النابية ! »

وقال صديقنا المازنى : « بل السيف ادرم من هذا . وإنما سوغ صاحبنا سيئاً آخر يستحقه . . وأشار إلى قدمه ! » .

وارتفعت لهجة النقاش هنيهة ، ثم هدأت بخروج الفتى صاحب الكلمة من الندى ، واعتذاره قبل خروجه بتفسير كلامه على معنى مقبول ، أو خيِّل اليه أنه مقبول .

وتساءلنا : ما بالنا نقنع بتمجيد « كارليل » للنبى ، وهو كاتب غربى لا يفهمه كما نفهمه ، ولا يعرف الإسلام كما نعرفه . . ثم سألنى بعض الإخوان : « ما بالك أنت يا فلان لا تضع لقراء العربية كتابا عن محمد على النمط الحديث ؟ » .

قلت : « أفعل . . وأرجو أن يتم ذلك فى وقت قريب » .

ولكنه لم يتم وقت قريب . . بل تمَّ بعد ثلاثين سنة ! . . وشاءت المصادفة العجيبة أن يتمَّ فصوله فى مثل الأيام التى سمعت فيها الاقتراح لأول مرة . . فكتبت